

الباب الثانى

التمسك بأهل البيت عليهم السلام

الرسول صلّى الله عليه وآله نعى نفسه للمسلمين فى حجة الوداع وعلم بدنوا أجله وأنه مفارق أمته إلى الرفيق الأعلى فكيف يترك الأمة من بعده؟ هل يتركها عرضة للفتن والأهواء؟

أم يرسم لها الطريق الذى يجب أن تسلكه من بعده ويوصيها بما يضمن استمرار المسيرة دون زيغ أو انحراف؟

وهو الحريص على أمته كما وصفه الله تعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم " (١) ولذلك وجدنا الرسول صلّى الله عليه وآله يوصى الأمة أمام ذلك الحشد الهائل من الصحابة والذى لم يحدث له مثيل من قبل فى تاريخ الإسلام. أمام ذلك الحشد العظيم أعلن الرسول صلّى الله عليه وآله وصيته حتى تشهدا الأغلبية الساحقة من المسلمين وليترك الأمة من بعده على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك "ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة" (٢) حيث قال صلّى الله عليه وآله: "إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وعترتى أهل بيتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما" (يقول ابن منظور فى لسان العرب: وقال ابو عبيد وغيره عترة الرجل واسرته وفصيلته رهطه الأدنون وقال ابن الأعرابى العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه قال فعترة النبی صلّى الله عليه وآله ولد فاطمة البتول عليها السلام (٣) فهل حقا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله هذا الحديث؟ ومتى قاله؟

وفى أى المناسبات؟ ولمن يوجه الخطاب فيه؟ وإلام يدعو هذا الحديث؟

١ _ (التوبة ١٢٨)

٢ _ (الأَنْفَال ٤٢)

٣ _ (لسان العرب ج ١ - ٢٥)

يقول ابن حجر الهيثمي في صواعقه المحرقة: إن لحديث التمسك بالكتاب والعترة طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا وفي بعض الطرق أنه قال ذلك في حجة الوداع بعرفة وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه الذي توفي فيه وقد امتلات الحجرة بأصحابه وفي الثالثة أنه قال ذلك بغدير خم^(١)

وسوف نستعرض عزيزي القارئ بعض طرق هذا الحديث روى الترمذي في سننه^(٢) عن جابر بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول "يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي"

وأخرج أحمد وأبو يعلى عن سعيد الخدري رضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير خبرني أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما"

وأخرج البزار عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إني مقبوض وإني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنكم لن تضلوا بعدهما"

وأخرج الترمذي وحسنه عن جابر رضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي"

وأخرج أحمد والطبراني عن زيد بن ثابت رضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض."

وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن زيد بن أرقم رضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا"

١ - (الصواعق المحرقة ج ٢ - ٤٤٠)

٢ - (سنن الترمذي ج ٥ - ٣٢٨)

بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما".

وروى مسلم عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال " أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي" ^(١) ولمزيد من مصادر هذا الحديث يمكن مراجعة مسند أحمد - مجمع الزوائد للهيثمي - كتاب السنة لابن أبي عاصم - السنن الكبرى للنسائي - مسند أبي يعلى الموصلي - الطبراني في معجمه الصغير والأوسط والكبير - الجامع الصغير للسيوطي

يتضح لك عزيزي القارئ أن هذا الحديث يمثل الوصية الأخيرة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته أعلنها في أواخر حياته وعند دنو أجله فهو تارة يقول " إني أوشك أن أدعى فأجيب " وأخرى يقول " إني مقبوض " وثالثة يقول " فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب."

كانت هذه الوصية الخالدة أمام ذلك الحشد الهائل من الصحابة والذي لم يحدث من قبل في تاريخ الإسلام أعلنها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع وكررها في غدير خم (مكان بين مكة والمدينة أوقف فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين وخطب فيهم) فكانت وصية عامة للأمة والكثير من الصحابة الذين شهدوها لم يروا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك حيث تفرقوا في الآفاق فكانت هذه الوصية عند الكثير منهم آخر ما سمعوه منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فهي إذن وصية عامة لأفراد الأمة جميعا وبلا إستثناء وليست فردية أو شخصية كالكثير من الوصايا التي كان يوصي بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آحاد المسلمين.

١ - (صحيح مسلم ج٧ - ١٢٢)

فإلى أى شىء تدعو هذه الوصية؟

إذا تأملنا فى هذه الأحاديث نجدها تدعو إلى:

١- التمسك بكتاب الله والعترة.

٢- أن التمسك بالكتاب والعترة معا أمان من الضلال

٣- أن القرآن والعترة لا يفترقان

أولاً: التمسك بالكتاب والعترة

الرسول ﷺ يوصينا بالتمسك بالكتاب والعترة فما معنى

التمسك؟

هل التمسك يعنى الحب؟

هل إذا أحب المرء القرآن صار متمسكا به؟

أم أن التمسك يعنى الاتباع والالتزام؟ فحينما نقول إن أحدا متمسك بالقرآن فإننا نعنى أنه يتبعه ويعمل بما فيه ويلتزم به. وإذا اتبع المرء شيئا أو انسانا آخر صار المتبوع إماما للتابع فحينما أتبع القرآن فإنى أجعله أمامى أسير خلفه أى أننى أجعل القرآن إماماً لى أأتم به وهذا يعنى أن القرآن إمامٌ للأمة تماما كما جعل الله تعالى كتاب موسى ﷺ إماما حيث قال الله تعالى: "ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة" (١).

فإذا كان الحديث قد جعل القرآن إماما للأمة فإنه بالتالى يجعل العترة إماما أى أن أئمة الأمة لابد وان تكون من العترة وليس من غيرهم ولا يصح أن يتقدم أحد من الأمة على العترة أو أن يصير إماما لها وإلا فكيف يكون فى هذه الحالة متمسكا بالعترة وأخذا بوصية الرسول ﷺ والذى يقول أيضا عن أهل بيته: "فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم" (٢).

١- (هود ١٧ والأحقاف ١٢).

٢- (أخرجه الطبرانى).

فالعتره يجب أن تكون متبوعه من جميع الأمة بلا استثناء وليست تابعة لأى أحد مهما كان.

هكذا يوصى الرسول صلّى الله عليه وسلّم أمته فالأئمة لابد وأن تكون من العتره ولذلك فإن الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعصمهم حتى يكونوا مؤهلين لهذه الإمامة دون غيرهم من أفراد الأمة.

ولكن هل يعنى أن الأئمة من العتره أن جميع ذرية الرسول صلّى الله عليه وسلّم أئمة كما يظن البعض؟

أم أنه صلّى الله عليه وسلّم قد حدد عددا معيناً من عترته ليكونوا أئمة؟

إذا بحثنا فى أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التى تتحدث عن عدد الأئمة أو الخلفاء نجد هذه الأحاديث قد حددت اثنا عشر إماماً أو خليفة فقد روى مسلم عن جابر بن سمرة قال دخلت مع أبى على النبى صلّى الله عليه وسلّم فسمعتة يقول "إن هذا الامر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة" قال ثم تكلم بكلام خفى على فقلت لأبى ما قال؟ قال كلهم من قريش. وعنه أيضاً قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: "لا يزال أمر الناس ما ضيا ما وليهم اثنا عشر رجلاً" ثم تكلم النبى صلّى الله عليه وسلّم بكلمة خفيت على فسالت أبى ماذا قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم فقال كلهم من قريش. وعنه أيضاً قال انطلقت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعى أبى فسمعتة يقول: "لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة" فقال كلمة صميتها الناس فقلت لأبى ما قال قال كلهم من قريش^(١).

وأخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول "يكون اثنا عشر أميراً" فقال كلمة لم أسمعها فقال أبى إنه قال "كلهم من قريش"^(٢). وفى كنز العمال عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال "لن يزال هذا الدين قائماً إلى اثنا عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها"^(٣). وروى أحمد والحاكم

٢_ (صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢_ ١٩٣_ ١٩٤)

١_ (كنز العمال ١٣_ ٢٧)

٢_ (البخارى ج ٩_ ٢٥٠)

وغيرهم واللفظ للأول عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود يقرئنا القرآن فسأله رجل فقال يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك قال سألتناه فقال " اثنا عشر خليفة عدة نقيب بني إسرائيل " (١).

فإذا كان حديث العترة أو الثقليين يبيِّن أن الأئمة لا بد وأن تكون من أهل البيت وإذا كانت الأحاديث الأخرى تبيِّن أن عدد الأئمة أو الخلفاء اثنا عشر فمعنى ذلك أن هناك لهذه الأمة اثني عشر إماما أو خليفة كلهم من أهل البيت ﷺ. إن بعض روايات حديث كتاب الله وعترتي جاءت بلفظ خليفة فقد أخرج أحمد والطبراني عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: " إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض."

فالقرآن خليفة والعترة أيضا خليفة وبالتالي فالخلفاء الاثنا عشر لا يكونون إلا من عترة رسول الله ﷺ وهؤلاء الأئمة أو الخلفاء هم:

- ١- الإمام علي بن ابي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١٠ قبل البعثة - ٤٠ هجرية)
- ٢- الإمام الحسن بن علي بن ابي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٣- ٥٠ هجرية)
- ٣- الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٤- ٦١ هجرية)
- ٤- الإمام علي بن الحسين زين العابدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٣٨- ٩٥ هجرية)
- ٥- الإمام محمد بن علي الباقر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٥٧- ١١٤ هجرية)
- ٦- الإمام جعفر بن محمد الصادق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٨٠- ١٤٨ هجرية)
- ٧- الإمام موسى بن جعفر الكاظم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١٢٨- ١٨٣ هجرية)
- ٨- الإمام علي بن موسى الرضا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١٤٨- ٢٠٣ هجرية)
- ٩- الإمام محمد بن علي الجواد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١٩٥- ٢٢٠ هجرية)

٢- (مسند أحمد ج ١- ٣٨٩- الترمذی حدیث ٢٢٢٢- المستدرک علی الصحیحین للحاکم ج ٣- ٦١٨)

١٠_ الإمام على بن محمد الهادي عليه السلام (٢١٢_ ٢٥٤ هجرية)

١١_ الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام (٢٣٢_ ٢٦٠ هجرية)

١٢_ الإمام محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عليه السلام ولد عام ٢٥٥ هجرية وهو حي غائب وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً عجل الله فرجه الشريف هؤلاء هم أئمة أهل البيت الاثنا عشر عليهم السلام فهل ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أسماءهم في أحاديثه النبوية الشريفة؟

إن الأحاديث النبوية المروية عن طريق أهل البيت عليهم السلام قد ذكرت أسماءهم بينما الأحاديث المروية عن طريق أهل السنة قد ذكرت العدد دون الأسماء. فهل حقيقة أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يذكر أسماءهم؟ أم أن هناك أيادي خفية رفعت أسماء الأئمة من أحاديث أهل السنة وأخفتها حتى لا تتعرف عليهم الأمة؟

وهل يمكن أن يهمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مثل هذه القضية الهامة؟

فمن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر أصحابه بما هو كائن إلى قيام الساعة وأخبرهم عن كل صاحب فتنة عن اسمه واسم أبيه ومن أين هو كما بين ذلك حذيفة بن اليمان حيث قال ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة انسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة كل ذلك مما علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا بأعيانها؟ قال أو أشباهها يعرفها الفقهاء أو قال العلماء إنكم كنتم تسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير وأسأله عن الشر وتسالونه عما كان وأسأله عما يكون^(١) وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان أنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه^(٢). وعن عمر بن الخطاب قال

١_ (كنز العمال ج٣١٢٩٣)

٢_ (صحيح مسلم بشرح النووي ج١٨_١٧)

صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا^(١). فهل يعقل أن الرسول ﷺ يحدث أصحابه عما هو كائن إلى قيام الساعة وعن أسماء أصحاب الفتن على كثرتهم بينما لا يذكر أسماء الأئمة على قلة عددهم والأمة محتاجة إلى معرفتهم لأن الرسول ﷺ قال: "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية"^(٢) وقال أيضا "ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"^(٣).

وهل يعقل أن الرسول ﷺ يطلب من الأمة أن تتمسك بشيء مبهم؟ فإذا لم يكن هؤلاء الأئمة المذكورة أسماؤهم هم الأئمة الاثنا عشر الذين يقصدهم الرسول ﷺ في أحاديثه فمن غيرهم؟ وهل هناك اثنا عشر إماما غيرهم يمكن أن تنطبق عليهم مواصفات الإمامة والتي حددها الله تعالى في قوله: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين"^(٤). فالإمامة لا تتعقد لظالم ابتداء والظلم أنواع فهناك ظلم الانسان لنفسه وهناك ظلم الانسان لغيره من الخلق وهناك ظلم الانسان لربه بإرتكاب المعاصي فأى نوع من الظلم يقع فيه الإنسان يجعله غير صالح لأن يكون إماما. ولهذا فإن الإمام هو الذي عصمه الله تعالى من الوقوع في أى نوع من أنواع الظلم وهذه الصفة لم تتوفر إلا في أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث لم يقل أحد مطلقا بعصمة غيرهم ممن تولى الخلافة. فإذا لم يكن هناك اثنا عشر إماما بهذه المواصفات إلا أئمة أهل البيت عليهم السلام فلماذا لا نعترف بأنهم الأئمة والخلفاء الذين عناهم الرسول ﷺ في أحاديثه خاصة وأننا لن نجد اثني عشر إماما

٢- (صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ - ١٨)

٣- (ينابيع المودة - ١١٧)

٤- (صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ - ٢٢٩)

٥- (البقرة ١٢٤)

غيرهم فلقد حاول الكثير أن يجدوا اثني عشر إماما غيرهم ولكن محاولاتهم فشلت ووصلت إلى طريق مسدود يقول السيوطى وقد وجد من الاثني عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن العزيز هؤلاء ثمانية ويحتمل أن يضم إليهم المهدي العباسى لأنه فى العباسيين كعمر بن العزيز فى الأمويين والطاهر العباسى أيضا لما أوّتيه من العدل ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي من أهل البيت ^(١) ويقول ابن حجر العسقلانى وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولا بد من تمام العدة قبل قيام الساعة ^(٢). وهكذا فإن عدد الأئمة الاثني عشر يمثل لغزا لا جواب له عند غير مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وشيء آخر نلاحظه فى الأحاديث التى تحدثت عن عدد الأئمة وهو أن الأئمة كلهم من قريش فأى بطن من بطون قريش أظهر وأزكى من بنى هاشم الذين إصطفاهم الله تعالى حيث قال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم" ^(٣) فإذا كان بنو هاشم هم صفوة الله تعالى من قريش فهل هناك أفضل منهم ليكونوا أئمة لهذه الأمة؟ وقد بيّن الإمام على عليه السلام من أى بطن من بطون قريش تكون الأئمة حيث قال أن الأئمة من قريش غرسوا فى هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاية من غيرهم ^(٤).

ولقد حذر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم من بطون أخرى من قريش فقد روى مسلم عن أبى هريرة أن النبى صلّى الله عليه وآله وسلم قال: "يهلك أمتى هذا الحى من قريش" ^(٥) وروى البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلّى الله عليه وآله وسلم قال "هلكة أمتى على يدي غلظة من قريش" ^(٦) وقال ابن حجر وهو عند أحمد والنسائى "إن فساد

١- (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٢)

٢- (فتح البارى ١٦- ٢٤١)

٣- (أخرجه مسلم فى الفضائل ح ٢٢٧٦ والترمذى ج ٣٢٠٦ ح ٤٠٠-٥ وأحمد فى المسند ١٦٥٢٨ والبيهقى فى الشعب ١٣٩١ وابن حبان ٦٢٤٢ و٦٢٣٣)

٤- (نهج البلاغة الخطبة ١٤٢)

٥- (فتح البارى ج ١٦- ١١٥)

٦- (صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ - ٣٩)

أمتى على يدى غلطة سفهاء من قريش " فهل يصلح هؤلاء الذين حذر منهم الرسول ﷺ أن يكونوا أئمة وخلفاء للأمة؟

ولكن قد يقول قائل إن نظام الإمامة بهذه الطريقة إنما هو نظام وراثى لا يقره الإسلام فنقول ليس الأمر كذلك حيث أن النظام الوراثى يجعل للوارث الحق التلقائى فى وراثة الأمر وهذا غير موجود فى نظام الإمامة لأن تنصيب الأئمة إنما هو نص من الله تعالى أبلغه رسوله ﷺ وفى هذا النظام قد يخلف الابن أباه فى الإمامة لا على سبيل الوراثة وإنما بالنص الإلهى كما فى نظام النبوة والتى لا تعتبر نظاما وراثيا وإلا فهل نعتبر النبوة نظاما وراثيا عندما جعل الله تعالى اسماعيل واسحاق أبناء ابراهيم أنبياء؟ وكذلك حينما جعل يعقوب ابن اسحاق ويوسف بن يعقوب وسليمان بن داؤود أنبياء؟ لم يقل أحد مطلقا أن النبوة نظام وراثى على الرغم من أن الابن صار نبيا بعد أبيه لأن النبوة لم تكن حقا للابن يرثه تلقائيا وإنما كانت النبوة اصطفاء واختيارا إلهيا كما قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَيَقُولُ أَيضًا ﴿ اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴿٣٦﴾

فكما أن الله تعالى يصطفى الرسل فكذلك يصطفى الأئمة فالإمامة اصطفاء إلهى وليست وراثة وذرية محمد ﷺ خير ذرية ولذلك فإن الله تعالى اصطفى منها الأئمة كما اصطفى من ذرية الأنبياء السابقين وقد يستغرب الكثير من المسلمين أسماء معظم هؤلاء الأئمة حيث لم يسمعوا بهم من قبل على الرغم من مكانتهم العالية ومنزلتهم السامية وما ذلك إلا نتيجة طبيعية للحملة القاسية التى شنت ضد أهل

٣_ (آل عمران ٣٣ - ٣٤)

٤_ (الحج ٧٥)

٥_ (العنكبوت ٢٧)

البيت بِالسَّلَامِ والتي كانت تهدف إلى القضاء عليهم وإقصائهم تماما من حياة المسلمين وفي نفس الوقت ملأت الأذان بأسماء شخصيات أخرى لا تكاد تدنو من هؤلاء ولا يمكن أن يقارنوا بهم على الإطلاق.

فعلى سبيل المثال فإن الإمام السادس من أئمة أهل البيت وهو الإمام جعفر الصادق الْعَلِيُّ قد تتلمذ على يديه أبو حنيفة النعمان الذى قال عنه: لولا السنن لهلك النعمان مشيرا بذلك إلى السنن اللتين صحب فيهما الإمام جعفر الصادق الْعَلِيُّ وأيضا قال عنه مالك بن انس: ما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد. وتتلذذ أيضا على يدى الإمام جعفر الصادق الْعَلِيُّ الألوفا من العلماء وأسس فى المدينة المنورة أول جامعة اسلامية. هذا الإمام العظيم ما زال يجله الكثير من المسلمين وربما لم يسمعوها باسمه على الإطلاق. ومما يبين بعضا من فضل ومنزلة هذا الإمام العظيم مارواه الذهبى فى سير أعلام النبلاء عن ابن عقدة الحافظ عن حسن بن زياد سمعت أبا حنيفة وسئل من أفقه من رأيت؟ قال مارأيت أحدا أفقه من جعفر بن محمد (يقصد الإمام جعفر الْعَلِيُّ) لما أقدمه المنصور (أى أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى) من الحيرة بعث إلى فقال يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهىء له من مسائلك الصعاب فهيات له أربعين مسألة ثم أتيت أبا جعفر (المنصور العباسى) وجعفر جالس عن يمينه فلما بصرت بهما دخلنى لجعفر من الهيبة ما لا يدخلنى لأبى جعفر فسلمت وأذن لى فجلست ثم قال أبو جعفر لأبى حنيفة يا أبا حنيفة هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله (أى الإمام الصادق الْعَلِيُّ) فابتدأت أسأله فكان يقول فى المسألة أنتم تقولون فيها كذا وكذا وأهل المدينة يقولون كذا وكذا ونحن نقول كذا وكذا فربما تابعا وربما تابع أهل المدينة وربما خالفنا جميعا حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرم فيها مسألة ثم قال أبو حنيفة أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس ^(١).

١ - (سير اعلام النبلاء ج٦ - ٤٦٧)

وتاكيدا للوصية بالكتاب والعترة وتطبيقا لها قام رسول الله ﷺ بتتصيب الإمام على الأئمة في غدیر خم إماما للأمة فبعد رجوعه من حجة الوداع وفي طريق عودته إلى المدينة المنورة نزل غدیر خم وأمر بدوحات فقممن ثم قال: "كأني دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقيلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي فأنظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" ثم قال "إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن" ثم أخذ بيد علي فقال "من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"^(١).

وفي ذخائر العقبى للمحب الطبري عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَنَزَلْنَا بِغَدِيرِ خَمٍ فَنُودِيَ فِينَا الصَّلَاةَ جَامِعَةً وَكَسَحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةِ فَصَّلَى الظَّهْرَ وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادَ مَنْ عَادَاهُ قَالَ فَلَقِيهِ عَمْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: هَنِيئًا لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٌ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ وَأَنْصَرَ مِنْ نَصْرِهِ وَأَحَبَّ مِنْ أَحْبَبِهِ وَأَبْغَضَ مِنْ أَبْغَضِهِ. يَقُولُ ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي فَتْحِ الْبَارِي وَأَمَّا حَدِيثُ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ فَقَدْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَهُوَ كَثِيرُ الطَّرِيقِ جَدًّا وَقَدْ اسْتَوْعَبَهَا ابْنُ عَقْدَةَ فِي كِتَابِ مُفْرَدٍ وَكَثِيرٍ مِنْ أَسَانِيدِهَا صَحَّاحٌ وَحَسَّانٌ فَقَدْ رَوَيْنَا عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ قَالَ مَا بَلَّغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَا بَلَّغْنَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ"^(٢).

إن الرسول ﷺ قد أعلن هذا البيان في الطريق بين مكة والمدينة حين عودته من الحج في ذلك المكان وفي وقت الظهيرة حيث اشتد لهيب الشمس ولم ينتظر حتى عودته إلى المدينة المنورة فلماذا أوقف الرسول ﷺ ذلك الحشد العظيم من المسلمين في ذلك المكان وفي ذلك التوقيت؟ ألا يدل فعل الرسول ﷺ على أن هناك أمرا هاما وطارئا

٢- (أخرجه الحاكم ج ٣- ١٠٩ وصححه الذهبي)

٣- (فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج ٣- ٩٣).

قد حدث وهذا الأمر لا يحتمل التأجيل حتى عودته إلى المدينة؟ وهذا الأمر يريد الرسول ﷺ ابلاغه إلى ذلك الحشد العظيم من المسلمين قبل أن يتفرقوا في الآفاق وحتى يشهده أكبر عدد منهم مما يدل على أهميته وخطورته وتأثيره الكبير في مسيرة الأمة ولو كان أمرا عاديا وغير هام وغير مؤثر لآخره الرسول ﷺ لحين عودته إلى المدينة المنورة والرسول ﷺ لا يتخذ قرارات ارتجالية لا قيمة لها بل هو متبع لأمر ربه في كل ما يفعله "إن أتبع إلا ما يوحى إلى" (١)

فماذا كان ذلك الأمر الهام والطارىء؟ لم يكن إلا نزول هذه الآية "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس" (٢)

إنه أمر من الله تعالى لرسوله ﷺ أن يبلغ ما أنزل وليس ما سينزل ثم إن الأمر المراد تبليغه هام حيث يعدل تبليغه تبليغ الرسالة جميعا "وإن لم تفعل فما بلغت رسالته" وكأن الرسول ﷺ كان يتخرج من تبليغه فالله تعالى يطمئنه بقوله "والله يعصمك من الناس". إنه أمر صعب يكاد يقترب من التهديد من الله تعالى لرسوله ﷺ والذي سيبلغه لا محالة لأنه لم يكتف من الرسالة شيئا قط فما هو الأمر الذي أنزل والمراد تبليغه في نهاية الرسالة وحين نزول سورة المائدة والتي تعد من أواخر سور القرآن نزولا؟ حيث أخرج السيوطي في الدر المنثور عن سعيد بن منصور وابن المنذر عن أبي ميسرة قال آخر سورة أنزلت سورة المائدة (٣).

فهل كان ذلك الأمر الرسالة جميعا؟ أم كان أمرا محددًا ومعينا؟ لو كان الرسالة جميعا لجاز ذلك في أول البعثة ولكان الأمر بلغ ما سينزل كما أن قوله تعالى "فما بلغت رسالته" لا يتفق أن يكون الأمر الرسالة جميعا لأن ذلك نوع من التكرار فلا يبقى إلا أن يكون ذلك

١_ (الأحقاف ٩)

٢_ (المائدة ٦٧)

٣_ (الدر المنثور ج ٢_ ٢٥٢)

الأمر أمرا محددًا فما هو ذلك الأمر المحدد الذي جاء في آخر البعثة والذي تعنيه الآية؟ هل هو الصلاة أم الزكاة أم الحج أم الصوم أم.....؟ كل ذلك قد بلغه الرسول ﷺ ولم يكن في تبليغ هذه الأشياء حرج عليه. فما الأمر الذي كان الرسول ﷺ يتحرج من تبليغه أو يتخوف منه على رسالته؟ وهل كان ذلك الأمر يخص المشركين وأهل الكتاب أم يخص المسلمين؟ أما المشركون فقد تمت هزيمتهم وتم فتح مكة واستسلام قريش وكذلك فقد تمت هزيمة هوازن وثقيف في حين ولم تبق للمشركين في الجزيرة العربية شوكة تهدد الإسلام ودعوته. وأما اليهود فقد انتصر عليهم الرسول ﷺ وتم إجلاؤهم إلى أطراف الجزيرة العربية والنصارى لم يكونوا يشكلون خطرا على الإسلام بل إن الرسول ﷺ قد ذهب لغزوهم في تبوك وأيضا فإن الرسول ﷺ قد بلغ الآيات المتعلقة بأهل الكتاب والتي قال فيها القرآن عنهم أقوالاً شديدة فما كان الرسول ﷺ يتحرج من هؤلاء ولا هؤلاء ولم يكونوا يمثلون خطرا على الإسلام ودعوته فهل كان هناك أمر يتحرج الرسول ﷺ من تبليغه للمسلمين ويتخوف أن يطعنوا بسببه في رسالته؟ روى الواحدى في أسباب النزول عن أبى سعيد الخدرى قال نزلت هذه الآية "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك" يوم غدیر خم في على بن ابى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١) إذن كان هذا الأمر هو إمامة على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وتتصيبه إماما للأمة من بعد رسول الله ﷺ والذي كان يخشى أن يقول البعض إنه جامل ابن عمه فيطعنون بذلك في رسالته ولكن الله تعالى قد عصم منهم الرسول ﷺ فلم يتمكنوا من تنفيذ ما يريدون. وامتلثل الرسول ﷺ لأمر ربه ونصب علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في غدیر خم ولما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدیر خم أمر بدوحات فقممن ثم قال "كأنى دعيت فأجبت وإنى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتى أهل بيتى فانظروا كيف تخلفوني

٢- (أسباب النزول للواحدى ص ١٥٠)

فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" ثم قال "إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ثم أخذ بيد علي فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"^(١).

وأخرج أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال كنا عند النبي ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصلى الظهر وأخذ بيد علي وقال "اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" قال فلقبه عمر بعد ذلك فقال هنيئا لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة^(٢) وروى الحاكم عن زيد بن أرقم قال لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال "كأنى دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقيلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" ثم قال "إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد علي فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه....."^(٣) وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خمًا بين مكة والمدينة فحمد الله ووعظ وذكر ثم قال "أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن ياتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله.. ثم قال وأهل بيتي"^(٤).

إن البعض يحاول تفرغ هذه الحادثة من محتواها وقيمتها رغم اعترافهم بصحة الأحاديث التي وردت فيها فيقولون إن المولى في الحديث معناه المحب والناصر. وباله من تأويل لا معنى له فهل يعقل أن الرسول ﷺ يوقف ذلك الحشد الهائل من المسلمين تحت لهيب الشمس المحرقة ولا ينتظر عودته الى المدينة ليبلغهم أن علياً ناصرهم ومحبهم

١ _ (النسائي في الخصائص ٣٩_٤٠_٤١)

٢ _ (مسند احمد ج٤ _ ٢٨١)

٣ _ (المستدرک للحاکم ج٢_١٠٩ وصححه الذهبي في تلخيصه)

٤ _ (صحيح مسلم ج٧ _ ١٢٢_١٢٣)

وهو أمر من البديهيات والمسلمات لأن الله تعالى وصف المؤمنين بقوله " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض " (١). فهل يستدعى ذلك المعنى أن يوقف الرسول ﷺ ذلك الحشد الهائل من الصحابة ويقوم فيهم خطيبا في ذلك الحر الشديد وهل يليق ذلك الفعل برسول الله ﷺ ويتناسب مع مكانته ومنزلته وهو الذى لا يفعل إلا ما يأمره الله ويوحى به إليه " إن أتبع إلا ما يوحى إلى " (٢)؟

الرسول ﷺ يقول " من كنت مولاه " فأى ولاية تلك التى كانت لرسول الله ﷺ؟ ألم تكن ولاية الأمر والأحقية بالتصرف فى أمور المسلمين؟ فنفس تلك الولاية التى كانت لرسول الله ﷺ هى التى جعلها لعلى عنه وهذا المعنى يناسب ما حدث فى غدير خم فولاية الأمر وتنصيب إمام للأمة أمر هام وخطير يحتاج أن يوقف الرسول ﷺ من أجله ذلك الحشد فى ذلك الوقت ويبلغهم به قبل أن يتفرق المسلمون فى الآفاق. ثم ما معنى قول الرسول ﷺ " اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله " ألا يدل هذا القول على أن هناك أمرا ستتقسم فيه الأمة تجاه الإمام على عنه فمنهم من يواليه ومنهم من يعاديه ومنهم من ينصره ومنهم من يخذله وليس هذا الأمر إلا إمامة على للأمة وقيادته لها لا كما يزعم البعض أن الرسول ﷺ أراد أن يبلغ الأمة أن عليا محبهم وناصرهم فهذا المعنى لا يعترض عليه أحد ولا يتطلب موالاته ومعاداة ونصرا وخذلانا.

ولم تكن هذه هى المره الأولى التى يعرف فيها المسلمون أن عليا وليهم وإمامهم حيث عرفوا ذلك من قبل حينما نزلت الآية الكريمة " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " (٣) فقد روى أبو اسحاق الثعلبى فى تفسيره عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عباية بن ربيعى قال بينا عبد الله بن

١ _ (التوبة _ ٧١)

٢ _ (الأحقاف ٩)

٣ _ (المائدة _ ٥٥)

عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله إلا قال الرجل قال رسول الله فقال ابن عباس سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال يا أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا جندب ابن جنادة البدرى أبو ذر الغفارى سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا فصمتا ورأيت بهاتين وإلا فعميتا يقول "على قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله" أما إني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده الى السماء وهو يقول اللهم أشهد أنى سألت فى مسجد رسول الله فلم يعطنى أحد شيئاً وكان على راکعاً فأوماً بخنصره اليمنى إليه وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول الله ﷺ فلما فرغ النبى ﷺ رفع رأسه الى السماء وقال اللهم إن أخى موسى سألک فقال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى وإجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى فأنزلت عليه قرأنا ناطقاً "سنشد عضدک بأخیک ونجعل لکما سلطاناً فلا یصلون إلیکما" اللهم وأنا محمد نبيک وصفيک اللهم فاشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واجعل لى وزيراً من أهلى علياً اشدد به ظهري" قال أبو ذر فوالله ما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل عليه جبريل من عند الله فقال يا محمد اقرأ قال ما اقرأ قال اقرأ "إنما وليکم الله ورسوله والذین آمنوا الذین یقیمون الصلاة ویؤتون الزکاة وهم راکعون" وروى أبو بکر الرازى فى کتاب أحكام القرآن والطبرى أنها نزلت فى على حين تصدق بخاتمه وهو راکع وهو قول مجاهد والسدى وجميع علماء أهل البيت عليهم السلام (١)

١- (راجع أيضا الدر المنثور للسيوطى ج٢- ٢٩٣ - فتح القدير للشوكانى ج٢- ٥٢ - الكشاف للزمخشري ج١- ٦٤٩ - تفسير الطبرى ج٦- ٢٨٨ - القرطبي ج٦- ٢١٩ - اسباب النزول للواحدى ١٤٨ - تذكرة الخواص للسبط بن الجوزى ١٨، ٢٨٠ - تفسير الفخر الرازى ج١٢- ٢٦ - مجمع الزوائد ج٧- ١٧)

ولما نزلت الآية أنشأ حسان بن ثابت يقول فى ذلك:

أبا حسن تفديك نفسى ومهجتى وكل بطىء فى الهدى ومسارع
أيذهب مدحيك المحبر ضائعا وما المدح فى جنب الإله بضائع
فأنت الذى أعطيت إذ كنت راعيا زكاة فدتك النفس يا خير راع
فأنزل فىك الله خير ولاية وثبتها مثنى كتاب الشرائع
فالولى هو الذى يلى تدبير الأمر يقال فلان ولى المرأة إذا كان يملك
تدبير نكاحها وولى الدم من كان إليه المطالبة بالقود والسلطان ولى
أمر الرعية. قال الكميت يمدح عليا:

ونعم ولى الأمر بعد ولىه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب

فمعنى الولى فى الآية من له الولاية على الخلق والقيام بأمرهم وتجب
طاعته عليهم والذى يدل على ذلك أن لفظة إنما تقتضى التخصيص ونفى
الحكم عما عدا المذكور كما يقولون إنما الفصاحة للجاهلية يعنون
نفى الفصاحة عن غيرهم. وإذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة الولى على
الموالاتة فى الدين والمحبة لأنه لا تخصيص فى هذا المعنى لمؤمن دون
مؤمن والمؤمنون كلهم مشاركون فى هذا المعنى كما قال سبحانه
" والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض " (١). وإذا لم يجز حمله على
ذلك لم يبق إلا الوجه الآخر. ووجه آخر فى الدلالة على أن الولاية فى
الآية مختصة وليست عامة أنه سبحانه وتعالى قال " إنما وليكم الله "
فخاطب جميع المؤمنين ودخل فى الخطاب النبى صلّى الله عليه وآله وغيره ثم قال "
ورسوله " فأخرج النبى صلّى الله عليه وآله من جملتهم ثم قال " والذين آمنوا " فوجب أن
يكون الذى خوطب بالآية غير الذى جعلت له الولاية وإلا أدى ذلك إلى
أن يكون كل واحد من المؤمنين ولى نفسه وذلك محال.

وإذا نظرنا أيضا فى كتاب الله عز وجل نجد أن لفظ الولى يأتى
أحيانا على صيغة المفرد وأحيانا على صيغة الجمع فحينما يتفرد
الولى يأتى اللفظ على صيغة المفرد " ولى " وحينما يتعدد الولى يأتى

٢ - (التوبة ٧١)

على صيغة الجمع "أولياء" كما فى قوله تعالى: "الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات"^(١). وأيضا تعدد الولى فى هذه الآيات فجاء اللفظ على صيغة الجمع "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض"^(٢) "والذين كفروا بعضهم أولياء بعض"^(٣) "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء"^(٤) أما فى آية الولاية فقد جاء اللفظ على صيغة المفرد "ولى" لبيِّن أن الولى واحد فالولى هو الله والولى هو الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والولى هو من صفته "الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون" وهو على بن أبى طالب الْعَلَيْهِ السَّلَامُ.

قد يقول قائل أن لفظ "الذين آمنوا" جمع فلا يصح أن يقصد به الإمام على وهو فرد ولكن أهل اللغة قد يعبرون بصيغة الجمع عن الواحد على سبيل التفضيم والتعظيم وقد عبّر القرآن فى مواطن عدة عن الفرد بصيغة الجمع كما فى قوله تعالى "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم"^(٥) ولم يكن القائل إلا نعيم بن مسعود الأشجعي وقد عبّر عنه القرآن بلفظ "الناس" أيضا فقد عبّر القرآن عن السيدة فاطمة الزهراء الْعَلَيْهَا السَّلَامُ بصيغة الجمع "نساءنا" فى آية المباهلة حيث يقول الله تعالى "الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين"^(٦) أيضا قد يقول قائل آخر أن المراد بقوله "وهم راعون" أن هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالا لإيتاء الزكاة وهذا لا يصح لأن قوله "يقيمون الصلاة" قد دخل فيه الركوع فلو لم يحمل قوله "وهم راعون" على أنه حال من يؤتون الزكاة وحملناه على من

١ - (البقرة ٢٥٧)

٢ - (التوبة ٧١)

٣ - (الانفال ٧٣)

٤ - (المائدة ٥١)

٥ - (آل عمران ١٧٣)

٦ - (آل عمران ٦٠-٦١)

صفتهم الركوع كان ذلك تكرارا غير مفيد. وهناك كذلك من يقول أن "وهم راكعون" معناها وهم خاشعون وليس حالاً من إيتاء الزكاة وهذا أيضا غير صحيح لأن فيه انتقال من الحقيقة الى المجاز ولا قرينة ثم إن الله تعالى قد ذكر الركوع وهو جزء من الصلاة بعد ذكر إقامة الصلاة مما يبين أن ذكر الركوع "وهم راكعون" بعد قوله تعالى "يقيمون الصلاة" يفيد معنى مقصودا وليس تكرارا للصلاة ويبين حال إيتاء الزكاة، وأيضا نجد من يعترض على أن "وهم راكعون" حال لإيتاء الزكاة بقوله أن إخراج الزكاة في حال الركوع لم يقل أحد أن له أفضلية حيث يقول ابن كثير: فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة "وهم راكعون" في موضع حال من قوله "ويؤتون الزكاة" أي في حال ركوعهم ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى^(١). فنقول لهؤلاء إن الله تعالى لم يأمر المؤمنين في هذه الآية بإخراج الزكاة في حال ركوعهم وإنما نزلت الآية لتصف شخصا معينا قام وحده بذلك العمل لا يعمل بها المؤمنون جميعا وكان ذلك الشخص هو الإمام على بن أبي طالب عليه السلام. إن هذه الآية لم يعمل بها إلا الإمام على وحده ولا عجب في ذلك حيث أن هناك آيات أخرى في القرآن لم يعمل بها غيره كقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة"^(٢) قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي "يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة" كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما أردت أن أناجي رسول الله صلى الله عليه وآله قدمت درهما فتسخرها الآية الأخرى "أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات" الآية فقال عليه السلام بسى خفف الله عن هذه الأمة ولم ينزل في أحد قبلي ولم ينزل في

١ - (تفسير ابن كثير ج ٢ - ٧١)

٢ - (المجادلة ١٢)

أحد بعدى" (١). وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان لعلی بن أبی طالب الرَّعْبِيُّ ثلاث لو كانت لی واحدة منهن لكانت أحب إلی من حمر النعم تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خیبر وآية النجوى (٢). وقال مجاهد وقتادة لما نهوا عن مناجاته صلوات الله علیه حتى يتصدقوا لم يناجيه إلا علی بن أبی طالب قدم دینارا فتصدق به ثم نزلت الرخصة. فكما أن آية النجوى لم يعمل بها إلا علی بن أبی طالب الرَّعْبِيُّ فكذلك آية الولاية فهذه مثل تلك.

فكان من رسول الله ﷺ كما كان هارون من موسى فقد روى البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم وغيرهم واللفظ للبخارى أن رسول الله ﷺ قال لعلی " أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى " (٣). وفى المستدرک للحاكم عن ابن عباس قال خرج رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك وخرج الناس معه فقال له علی أخرج معك فقال النبى ﷺ لا فىكى علی فقال له " أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدى نبى إنه لا ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى " قال ابن عباس وقال له رسول الله ﷺ " أنت ولى كل مؤمن بعدى ومؤمنة " (٤).

فالعلی الرَّعْبِيُّ كل منازل هارون من موسى كما دل على ذلك التکیر فى كلمة منزلة والذى يفيد العموم حتى لقد يظن البعض أنه نبى مثلما كان هارون فاستثنى رسول الله ﷺ منزلة النبوة فقط وأما ما عداها من المنازل فهى ثابتة له فهو أخو رسول الله ﷺ ووزيره وخليفته ولكن قد يقول قائل إن هارون قد مات فى حياة موسى الرَّعْبِيُّ ولم يتول الخلافة من بعده وبالتالي فإن خلافة عليٍّ للرسول ﷺ فى حياته فقط وليس بعد وفاته فنقول لهؤلاء أن عليًّا قد عاش بعد رسول الله ﷺ بينما توفى

- ١ _ (الحاكم ج ٢ _ ٤٢ وصححه الذهبى وأنظر تفسير الآية فى تفاسير الثعلبى والطبرى والسيوطى والزمخشرى والرازى وغيرهم)
- ٢ _ (أخرجه أبو يعلى وأحمد فى مسنده وراجع أيضا البداية والنهاية ج ٧ _ ٢٥٧)
- ٣ _ (البخارى حديث ٣٧٠٦ _ فتح البارى ج ٧ ٩٢ _ صحيح مسلم شرح النووى ج ١٥ ١٨٢)
- ٤ _ (لحاكم ج ٣ ١٣٤، ١٣٤ _ وقد صححه الذهبى)

هارون في حياة موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولقد استخلف موسى هارون في حياته ولو عاش بعده هل سيخلفه أحدٌ غيره؟ وهل يطلب موسى من الله تعالى أن يجعل هارون وزيراً له يشد به أزره ويشركه في أمره ثم لا يستخلفه إن هو عاش بعده؟ فهارون هذه الأمة - على بن ابي طالب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عاش بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو خليفته الذي استخلفه على الأمة وليس الذي نصبه الآخرون. يقول ابن حجر في فتح الباري تعليقا على حديث المنزلة "واستدل بحديث الباب على استحقاق على للخلافة دون غيره من الصحابة فان هارون كان خليفة موسى" ^(١) ثم يرد على ذلك بقوله "وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته لأنه مات قبل موسى". لكننا نتقدم بسؤال لو عاش هارون بعد موسى هل سيشك أحد أنه الخليفة من بعده؟ وهل سيتقدم عليه أحد غيره ويقول أنت خليفة في حياته فقط ولا تصلح للخلافة بعده وهناك من هو أحق وأجدر بالخلافة منك؟ إن الإمام على صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاش بعد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا كان خليفته في حياته أفليس الأجدر أن يكون خليفته بعد موته؟ وهل كان اختيار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلى خليفة له في حياته اختياراً خاطئاً حتى لا يصلح للخلافة من بعده؟ فلماذا لا يكون هو الخليفة من بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

ومن الثابت أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نصب علياً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إماماً للأمة يوم غدیر خم ^(٢) وكان ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى وبهذا الأمر أكمل الله الدين وأتم به النعمة فبعد نزول آية البلاغ "يا أيها الرسول بلغ....." وبعد قيام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإبلاغ إمامة على بن ابي طالب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنزل الله تعالى "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" ^(٣) فقد روى السيوطي في الدر المنثور ^(٤) عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساکر عن أبي سعيد الخدري قال نزلت هذه الآية "يا

١ - (فتح الباري ج ٧ ص ٩٣)

٢ - يوم غدیر خم هو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من العام العاشر الهجري

٣ - (المائدة ٣)

٤ - الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٢٩٨

أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك " على رسول الله ﷺ يوم غدیر خم فی علی عليه السلام وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - إن عليا مولى المؤمنين - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (وهذا القول على سبيل التفسير وليس تحريفا للقرآن كما قد يتوهم البعض).

وروى السيوطى فى الدر المنثور عن الحافظ ابن مردويه وابن عساكر بسنديهما عن أبى سعيد الخدرى قال " لما نصب رسول الله عليا يوم غدیر خم فنادى له بالولاية هبط جبريل عليه بهذه الآية " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا " ورواه أيضا الحافظ الحسكاني ^(١) وابن عساكر ^(٢).

وممن روى نزول آية الإكمال فى غدیر خم:

- ١- الحافظ ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى كتابه الولاية
 - ٢- الحافظ بن مردويه الأصفهانى
 - ٣- الحافظ ابو نعيم الأصبهانى فى كتابه ما نزل من القرآن فى على
 - ٤- الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادى فى تاريخه
 - ٥- الحافظ ابو القاسم بن عساكر الشافعى الدمشقى
 - ٦- الحافظ ابو القاسم الحاكم الحسكاني
- وإلا فبأى شىء آخر أكمل الله الدين وأتم النعمة؟ فالفرائض الإسلامية كانت تنزل فريضة بعد أخرى فكانت ولاية على بن أبى طالب آخر الفرائض نزولا.

ولكن ماذا نقول فى رواية البخارى التى تبين نزول آية إكمال الدين يوم عرفة حيث روى البخارى عن عمر بن الخطاب أن رجلا من اليهود قال يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت لإتخذنا ذلك اليوم عيداً قال أى آية قال " اليوم أكملت لكم

١- الحديث ٢١١

٢- الحديث ٥٨٥، ٥٨٦ من ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق ج ٢ ٨٥

دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " قال عمر
قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلوات الله وسلامه عليه وهو قائم
بعرفة يوم الجمعة ^(١) فهناك آيتان آية البلاغ " يا أيها الرسول بلغ

ما أنزل إليك من ربك..... الآية " وآية إكمال الدين " اليوم أكملت
لكم دينكم.... الآية " فمتى نزلت كل منهما؟ وهل من المعقول أن
تنزل آية إكمال الدين ثم بعد ذلك تنزل آية البلاغ فإذا كانت آية البلاغ
قد نزلت فعلا يوم غدير خم فهل يعقل أن تنزل آية إكمال الدين قبلها
يوم عرفة؟ ألا يعتبر ذلك تناقضا كيف يتم الله تعالى الدين ثم بعد ذلك
يأمر نبيه بالإبلاغ؟ وإذا كان الدين قد كمل يوم غدير خم بولاية علي
عليه السلام فبأي شيء قد كمل يوم عرفة؟ وإذا كان يوم نزول آية إكمال
الدين عيدا للمسلمين كما جاء في رواية البخاري فهل يتخذ أحد من
المسلمين يوم عرفة عيدا؟ بينما نجد أن أتباع أهل البيت عليهم السلام يتخذون
يوم غدير خم عيدا حيث أكمل الله فيه الدين وأتم فيه النعمة بإمامة
علي بن أبي طالب عليه السلام فقد روى الخطيب والحافظ الحسكاني وابن
عساكر والخوارزمي وابن المغازلي بأسانيد عن أبي هريرة قال من
صام يوم ثمانى عشر من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهرا وهو يوم
غدير خم لما أخذ النبي صلوات الله وسلامه عليه بيد علي عليه السلام فقال ألسنت ولى المؤمنين
قالوا بلى يارسول الله قال من كنت مولاه فعلى مولاه فقال عمر بن
الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم
فأنزل الله عز وجل " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .

فإذا كان من الثابت أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد نصب عليا إماما للأمة
يوم غدير خم فلماذا نحاول أن نهرب من الحقيقة ونصرف الأدلة عما
يراد منها؟ أكل ذلك حتى لانقر لأهل البيت عليهم السلام بالمكانة والمنزلة
التي وضعهم فيها الله تعالى والتي بلغها الرسول صلوات الله وسلامه عليه؟ إنه كلام الله
تعالى وكلام الرسول صلوات الله وسلامه عليه وليس كلامنا ولا كلام أحد من البشر

١ - البخاري (ج ١٦ - ج ١٢٧ هـ - ج ١٢٧ ٨)

ولا كلام ابن سبأ - كما يزعمون - تلك الشخصية الأسطورية التي إختلقوها ليبعدوا الناس عن أهل البيت عليهم السلام وليوهموهم أن النص على عليه السلام إمام للأمة إنما هو من نسج خيال تلك الشخصية فلماذا لا نذعن للحقيقة ولما أنزله الله تعالى ولماذا نحاول أن نجتهد دائما في مقابل النصوص؟ ولماذا نحاول أن نتقدم على الله ورسوله صلوات الله وسلامته عليه بأرائنا وأهوائنا وأفكارنا وقد نهانا الله تعالى عن ذلك بقوله " يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم " ^(١).

وقد تستغرب عزيزي القارئ من القول بالنص على الإمام وأنه معين من قبل الله تعالى ولكن ذلك يعود لحملة التعظيم التي شنت ضد أهل البيت عليهم السلام والتي مازالت آثارها باقية إلى يومنا هذا وكذلك إلى التقليد الأعمى والعصبية البغيضة وتقديس الموروثات وعدم الأخذ بما أنزل الله تعالى وكذلك يعود أيضا إلى الانفلاق الفكري وعدم الاستماع إلى الآخر بل ومحاولة مصادرته وإلا فهل سمعت عزيزي القارئ أن نبيا من الأنبياء عقد مجلسا للشورى لإختيار وصيه وخليفته من بعده؟ وهل سمعت أن نبيا من الأنبياء ترك الأمر لأتمته تختار من تشاء من بعده؟ لقد كان معلوما عند الأمم السابقة أن مجرد اختيار قائد للجيش ليس موكولا لهم وإنما هو تعيين إلهي ولنتدبر في قوله تعالى " ألم تر إلى الملاء من بنى اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله " ^(٢) فلو كانوا يعلمون أن الأمر لهم لاختاروا واحدا منهم. وهل سمعت عزيزي القارئ أن الرسول صلوات الله وسلامته عليه عقد مجلسا للشورى لاختيار قائد سرية أو من يخلفه على المدينة حين غيابه عنها؟ بل ربما قوبل التعيين النبوي للقادة والأمراء بالطعن وعدم الرضا فقد أخرج البخاري أن رسول صلوات الله وسلامته عليه بعث بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمرته فقام رسول صلوات الله وسلامته عليه فقال " إن كنتم تطعنون في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمره أبيه من قبل وأيم الله إن كان

١ - الحجرات ١

٢ - البقرة ٢٤٦

لخليقا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس اليَ وإن هذا لمن أحب الناس إلىَّ بعده" (١).

إن الرسول ﷺ لم يترك لهم تعيين الأمراء ولما عيّن أسامة بن زيد أميراً على الجيش طعنوا في إمرته كما طعنوا في إمرة أبيه من قبل رغم تعيين الرسول ﷺ لهما.

ولكن قد يقول البعض إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه " وأمرهم شورى بينهم " (٢) ويقول أيضا " وشاورهم في الأمر " (٣) وكذلك فإن الرسول ﷺ شاور أصحابه في غزوة بدر وتنازل عن رأيه وأخذ برأى الصحابي الحباب بن المنذر فيما يتعلق بالمكان الذي ينبغي أن ينزل فيه المسلمون في مواجهة الكفار فنقول إن هذه الشورى فيما لا نص فيه أما ما فيه نص فلا شورى فيه وأمر الإمامة فيه النص الإلهي فلا شورى فيه وأما ما حدث في غزوة بدر فإننا نلاحظ أن الصحابي الحباب بن المنذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال أولا للرسول ﷺ يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم أنه الرأى والحرب والمكيدة؟ أى أنه كان يعلم إذا كان هناك أمر من الله فلا مجال للشورى فلما علم أنه ليس هناك أمر من الله وأن المجال مفتوح أمام الرأى أدلى برأيه والذي أخذ به الرسول ﷺ فمن الثابت أن لا نبي من الأنبياء ترك الأمر لأمته لا في حال حياته ولا بعد موته لإختيار وصيه وخليفته وإنما كان التعيين الإلهي للأوصياء هو السنة الإلهية الثابتة والتي لم تتغير في أمة محمد ﷺ فكان النص على بنى أمية طالب والأئمة من بعده سيرا على هذه السنة الإلهية وإمتدادا لها " سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا " (٤)

ثانيا: التمسك بالكتاب والعترة أمان من الضلال
فالأمن من الضلال في التمسك بالقرآن والعترة معاً فالذى يتمسك

١ - (البخارى ج ٨ - ١٦٠)

٢ - (الشورى ٢٨)

٣ - (آل عمران ٥٩)

٤ - (الاحزاب ٦٢)

بأحدهما فقط لا يكون فى أمن من الضلال فالذين يبتعدون عن العترة ولا يعرفون عنها شيئاً ولا يلتزمون بمنهجها أولئك ليسوا فى مأمن من الضلال لأن الرسول ﷺ جعل الأمن من الضلال فى التمسك بالكتاب والعترة معاً وقد يقول قائل إنى أتمسك بالكتاب والسنة ولا حاجة لى إلى التمسك بالعترة وأنا فى ذلك فى أمن من الضلال نقول لمن يقول هذا إنك لا ترد على أحد من البشر أو على خصم من خصومك وإنما ترد على رسول الله ﷺ وترفض قوله وتطعن فيه ولا تستجيب له والله تعالى يدعونا لى نستجيب للرسول ﷺ بقوله "يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم" (١) ويقول أيضاً "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم" (٢) ويقول "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً" (٣) وهناك أمر هام ينبغى أن نشير إليه وهو أن التمسك بالكتاب والعترة لا يعنى أبداً ترك السنة وعدم التمسك بها كما يتوهم البعض حيث أن التمسك بالقرآن لا يكون إلا بالتمسك بالسنة حيث يدعو القرآن إلى التمسك بالسنة فى مواطن عديدة مثل قوله تعالى "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" (٤) وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول" (٥) "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً" (٦) فالتمسك بالقرآن لا يكون إلا بالتمسك بالسنة والا فكيف نصلى ونصوم ونحج ونزكى إذا لم نتمسك بالسنة حيث أن القرآن العظيم قد أجمل هذه التعاليم بينما فصلت أحكامها السنة النبوية المطهرة فلا يمكن إذن التمسك بالقرآن إلا بالتمسك بالسنة كما يتضح ذلك من

١ _ (الانفال ٢٤)

٢ _ (الاحزاب ٣٦)

٣ _ (النساء ٦٥)

٤ _ (الحشر ٧)

٥ _ (التغابن ١٢)

٦ _ (النساء ٦٥)

القرآن العظيم . نعم إن القرآن العظيم فيه الهدى والنور وكذلك السنة النبوية الصحيحة ولكن القرآن صامت يحتاج إلى من ينطق عنه وإلى من بيئته كما كان الرسول ﷺ يبيئه " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم " ^(١) فمن يبين للأمة من بعده ؟ ومن يعصم الأمة من الاختلاف فى الكتاب؟ وماذا نصنع حينما يختلف فى الكتاب كما اختلف فى كتب الأمم السابقة؟ (المراد بالاختلاف هو الاختلاف فى التأويل والتفسير والفهم لا وقوع التحريف فى القرآن كما قد يتوهم البعض حيث أن القرآن محفوظ من التحريف بحفظ الله تعالى له " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ") ^(٢) " ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه " ^(٣) . خاصة أن الرسول ﷺ قد بين أن هذه الأمة ستتبع سنن من قبلها من اليهود والنصارى حيث قال " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن " ^(٤) فالقرآن حمال أوجه فمن يحمله على الوجه الذى يريده الله تعالى؟ ومن الذى يعلم السنة الصحيحة من الضعيفة والموضوعة خاصة بعد أن كثر الكذب على رسول الله ﷺ وانتشر الوضع فى الأحاديث ؟ ومن الذى يلتزم بالقرآن والسنة ويطبقيهما التطبيق الأمثل ويكون حجة الله على خلقه؟ ومن الذى ترجع إليه الأمة عند الإختلاف فى القرآن والسنة؟ ومن الذى لا يفارق القرآن ولا يختلف معه؟ ومن الذى مع الحق والحق معه كل ذلك يبين ضرورة وجود إمام معصوم يهدى بأمر الله تعالى " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا " ^(٥) ويقود الأمة بالقرآن والسنة ويبيِّن لها ما تختلف فيه ويرشدها إلى الحق ويكون حجة الله على عباده ويكون مرجعا للأمة يرجع إليه فى كافة أمورها وتدين له بالطاعة امتثالا لقوله تعالى "

١ _ الحجر ٩

٢ _ النحل ٤٤

٣ _ هود ١١٠

٤ _ البخارى ج ٤ - ١٨٧ _ مسلم ج ٨ - ٥٧

٥ _ (الأنبياء ٧٣)

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" ^(١) فنحن حينما نتمسك بالعترة فإننا لانلغى السنة وإنما نأخذ القرآن من أهله والسنة من أهلها من الذين طهرهم الله وأورثهم العلم فكانوا ورثة الأنبياء من الذين عندهم علم الكتاب والسنة الذين يحتاج الناس إلى علمهم ولا يحتاجون إلى علم الناس من الذين يعلمون تأويل الكتاب والذين يستنبطون الحق " وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم " ^(٢) نأخذ من أولى الأمر الذين فرض الله تعالى علينا طاعتهم وأمرنا بالرجوع إليهم فعندما نأخذ من هؤلاء فإننا نأخذ القرآن كما أنزله الله تعالى بعيدا عن تحريف المحرفين (أى التحريف فى التأويل والتفسير والفهم) وتأويل المتأولين ونأخذ السنة الصحيحة كما صدرت عن رسول الله صلوات الله وسلامته عليه بعيدا عن وضع الوضعيين وكذب الكذابين ونحن حينما نأخذ من هؤلاء ونتمسك بهم فإننا لا نفعل إلا ما أمرنا به الله ورسوله وليس اتباعا لعصبية أو هوى. فالتمسك بالقرآن والسنة غير ممكن بدون التمسك بالعترة حيث جعل الرسول صلوات الله وسلامته عليه القرآن والعترة قرينين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ولا يحصل الأمن من الضلال إلا بالتمسك بهما معا كما أوصى بذلك الرسول صلوات الله وسلامته عليه ولذلك فوجود الأئمة المعصومين عليهم السلام مع الكتاب والسنة هو الأمان من الضلال بعد الرسول صلوات الله وسلامته عليه ولزيادة توضيح المسألة نقول إذا طرحنا عدة أسئلة على مجموعة من العلماء وكان معهم القرآن والسنة فهل سنحصل على إجابة واحدة؟ أم أنك ستجد إجابات عديدة ومختلفة وأحيانا متناقضة بل ربما وجدت الآية الواحدة يستدل بها عالم على أمر ويستدل بها آخر على نقيضه. وإذا واجهت الأمة مشكلة من المشكلات فهل تجد للعلماء فيها موقفا ورأيا واحدا رغم وجود القرآن والسنة؟ أم أنك تجد مواقف وآراء مختلفة ومتعددة وأحيانا متناقضة فماذا تفعل الأمة فى مثل هذه الحالة من الاختلاف والتناقض؟ وأيضا إذا نظرنا إلى الساحة

١ _ (النساء ٥٩)

٢ _ (النساء ٨٣)

الإسلامية لوجدناها تمتلئ بجماعات وجهات إسلامية كثيرة كلها ترفع شعار التمسك بالكتاب والسنة ومع ذلك فهي تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا وتتناقض تناقضا شاسعا بل ربما يكفر بعضها بعضا ويقاثل بعضها بعضا فلم يمنعها الكتاب والسنة من الاختلاف والتناقض والتناحر والاقتيال فأين الخلل؟ وعلام يدل ذلك؟

إن هناك الاختلاف في الفهم

وهناك الفهم المغلوط

وهناك مَنْ يتبع الهوى

وهناك مَنْ يشتري بآيات الله ثمنا قليلا

وهناك مَنْ يحرف الكلم عن مواضعه

وهناك مَنْ يكتم الحق ويلبس الحق بالباطل

وهناك مَنْ يخشى الناس ولا يخشى الله

وهناك مَنْ في قلوبهم مرض

وهناك مَنْ يركن إلى الظالمين

وهناك مَنْ يعمل لصالح السلاطين

وهناك وهناك وهناك.....

فأى من هؤلاء نتبع؟ وإلى من نسمع ونطيع؟ وممن نأخذ؟ وإلى من

نرجع؟

ألا يدل ذلك كله على ضرورة وجود إمام معصوم ترجع إليه الأمة

ويكون صمام أمان من الضلال والاختلاف ويفرق بين الحق والباطل؟

وقد يعترض البعض على هذا الكلام بقوله فحتى وجود الإمام

المعصوم لا يمنع من الاختلاف والاقتيال فلقد كان الإمام على عَلَيْهِ السَّلَام

موجودا ومع ذلك اختلفوا معه وخرجوا عليه وقاتلوه فنقول إن وجود

الإمام يفرق بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال وبين النور والظلمة

وبين حزب الله وحزب الشيطان فمن يتبع الإمام يهتدى إلى طريق الله تعالى وإلى الحق ومن يخالفه يضل عن طريق الله تعالى ويكون مع الباطل بينما فى عدم وجود الإمام المعصوم تلتبس الأمور وتختلط الأوراق ويقع الناس فى الحيرة والاضطراب ولا يستطيعون تمييز الحق من الباطل وقد يضلون عن طريق الله تعالى وهم يحسبون أنهم مهتدون ولذلك دعا رسول الله ﷺ إلى التمسك بالكتاب والعترة وجعل فى ذلك الأمن من الضلال فالتمسك بالعترة ومنهج أهل البيت ﷺ ليس كفرا وضلالا وخروجا عن الإسلام كما يصوره البعض ولكنه الامتثال الحق لأوامر الله ورسوله والتجسيد الحقيقى للإسلام بل هو سفينة النجاة من طوفان الفتن والضلال الذى لا عاصم منه كما قال الرسول ﷺ " مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق " (١)

ثالثا: القرآن والعترة لن يفترقا

ما معنى أن العترة لن تفارق القرآن كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ؟
القرآن كما وصفه الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا مجال فيه للخطأ والزيغ والانحراف فهو معصوم عن ذلك والعترة لن تفارقه فهى أيضا معصومة لأنها لو أخطأت وزاغت وإنحرفت لفارقت القرآن وهذا خلاف ما بيئنه الحديث الشريف وهذا دليل على عصمة الأئمة ﷺ مما يجعل الإنسان مطمئنا وهو يسير خلفهم أنه يسير فى الصراط المستقيم صراط رب العالمين وكما قال الرسول ﷺ " وإنهم لن يخرجوكم من هدى ولن يدخلوكم فى ضلال " وكما قال الإمام على عليه السلام " أنظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا آثارهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم فى ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا " (٢)

١ - (أخرجه الحاكم فى المستدرک وصححه ج٣- ١٥١)

٢ - (نهج البلاغة ٢- ١٩٠)

تساولات حول وصية الرسول ﷺ

أولا : إذا كانت الوصية بأهل البيت عليهم السلام قد صدرت فعلا من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فلماذا أعرض عنها الصحابة ولم يعملوا بها؟ ولماذا لم ينصبوا علي بن أبي طالب عليه السلام إماما للأمة ؟
نقول:

_ لعلمهم استصغروا سن الإمام على عليه السلام الذي لم يتجاوز الثلاثين إلا بقليل والعرب كانت تأنف من الإنقياد لصغير السن ومما يعزز هذا الاحتمال طعنهم في تأمير أسامة بن زيد على الجيش وهو ابن سبعة عشر عاما وكان ذلك في حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولم يكن بعد وفاته فلم نستغرب رفضهم تأمير على بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه خاصة وأن إمارة على عليه السلام كانت إمارة عامة على الأمة ولم تكن إمارة على سرية أو جيش

_ أو لأن عليا عليه السلام قتل الكثير من صناديد قريش ومن القبائل العربية الأخرى في حروب الإسلام المختلفة فأورث ذلك في قلوبهم أحقادا أبت أن يرضوا بإمرته حيث أنها النفس البشرية التي لم تزل بها بعض الرواسب ولم تتطهر تماما كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه لعائشة رضي الله عنها "لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنبذت الكعبة فجعلت لها بايين باب يدخل الناس وباب يخرجون" ^(١) فالرسول صلوات الله وسلامه عليه ترك هذا العمل مراعاة لظروفهم حيث يمكن ألا يتقبلوه لأنهم كانوا حديثي عهد بالجاهلية ولا يستوعبون ذلك العمل ولا يرضونه

_ أو لعله الحسد فقد قال الله تعالى " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما " ^(٢) يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ونحن المحسودون

١ - (البخارى ج ١ - ٤١)

٢ - (النساء ٥٤)

الذين قال الله فى كتابه " ام يحسدون الناس..... الآية. ونلاحظ أن الآية قد ذكرت آل إبراهيم فى مقابل الناس مما يرجح أن الناس فى الآية هم آل محمد صلوات الله وسلامته عليه. فدفعهم الحسد إلى أن كرهوا أن تجتمع النبوة والإمامة فى بنى هاشم ورغبوا فى تداول السلطة بين القبائل المختلفة لأنها لو وضعت فى أهل البيت عليهم السلام فلن تخرج منهم إلى غيرهم. ولا تتعجب عزيزى القارئ من الحسد فقد وقع بين أخوة يوسف عليه السلام وهم أولاد نبي ففعلوا ما فعلوا بيوسف عليه السلام فلا يستبعد أن يحدث من غيرهم _ أو لعلمهم رأوا أن المصلحة توجب عدم تولى على عليه السلام اعتقاداً منهم أن القبائل لا تتقاد له ولا تطيعه فكان ذلك اجتهاداً منهم فى مقابل النص وهو ما جرى منه الكثير بعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامته عليه (من أراد أن يتعرف المزيد من هذا الاجتهاد فى مقابل النص فعليه بمراجعة كتاب النص والاجتهاد للعلامة شرف الدين)

_ أو لعله الغدر الذى مارسته الأمة تجاه الإمام على عليه السلام حيث قال الرسول صلوات الله وسلامته عليه لعلى " إن الأمة ستغدر بك وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي من أحبك أحبنى ومن أبغضك أبغضنى وإن هذه ستخضب من هذا " _ يعنى لحيته من رأسه ^(١) وعن على عليه السلام قال " إن مما عهد إلى النبي صلوات الله وسلامته عليه أن الأمة ستغدر بي بعده ^(٢). وإذا كانت كلمة الغدر عزيزى القارئ شديدة وقاسية ومؤلمة فإنى لم أقلها ولا أجرؤ والله على قولها من تلقاء نفسى ولكن الذى قالها هو الرسول صلوات الله وسلامته عليه الذى لا ينطق عن الهوى والخبير بداء الأمة فنحن نقولها بقوله لأننا نتبعه ونطيعه ونسير معه حيث سار ونتوجه حيث توجه ونقتدى به ونتمسك بسنته فلماذا نعرض عما يقوله صلوات الله وسلامته عليه؟ هل هى العاطفة؟ أم هو الورع الكاذب؟ أم التقليد الأعمى للأباء والأجداد؟ أم تقديس ما توارثناه دون تدبر وتمحيص؟ أم اتباع السادة والكبراء والعلماء والشيوخ الذين أخفوا عنا الحقيقة وسرنا وراءهم؟ والإمام على عليه السلام يقول " لا تعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف أهله "

١ - (الحاكم ج ٣ - ١٤٧ وصححه الذهبى - وأخرجه أحمد فى مسنده ج ٥ - ٤٣٥)
٢ - (الحاكم ج ٣ - ١٤٠ وصححه الذهبى)

فلماذا نستحي من الحق؟ ولماذا نخشى الحقيقة؟ علينا أن نتقبل الحقيقة بشجاعة مهما كانت قاسية ومؤلمة. إن هذا الغدر بدت ملامحه يوم الخميس السابق على وفاة الرسول ﷺ فقد روى البخارى عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمعته الحصباء فقال اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبى تنازع فقالوا هجر رسول الله قال رسول الله ﷺ "دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه" (١) وأخرج مسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال "

الخميس وما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى رويت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال قال رسول الله ﷺ: "ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقالوا إن رسول الله يهجر" (٢) فتأمل عزيزى القارىء فى هذه الأحاديث حيث يرويها ابن عباس وهو يتألم ويبكى ويسمىها رزية أى مصيبة كما جاء فى صحيح البخارى حيث قال "إن الرزية كل الرزية ما حال بين الرسول ﷺ وبين كتابه" (٣) إنها فعلا مصيبة وأية مصيبة تلك التى حرمت الأمة من الوثيقة الرسمية لرسول الله ﷺ والتى لن تضل الأمة بعدها أبدا وكم هى الخسارة التى أصابت الأمة نتيجة منع كتابة هذه الوصية ويا لها من كلمة شنيعة تلك التى وصفوا بها رسول الله ﷺ حيث قالوا عنه انه يهجر أى يهذى وهو المؤيد بالوحى والذى لا ينطق عن الهوى فى جميع أحواله فى صحته وفى مرضه وفى سائر أحواله فهل كان هناك تيار لا يريد كتابة هذه الوثيقة خاصة وأن مضمونها يتفق مع مضمون وصية الرسول ﷺ فى خطبة الحج وفى يوم الغدير هذا المضمون الذى يضمن للأمة الأمن من الضلال من خلال التمسك بالكتاب والعترة؟ وهل أراد الرسول ﷺ أن يوثق بالكتابة وصيته فى

١ - (البخارى ج ٢ - ١١٨)

٢ - (مسلم ج ٢ - ١٦)

٣ - (راجع فتح البارى ج ١ - ٢٦٣)

الحج ويوم الغدير ولكن القوم أبوا ذلك ؟

ثانيا: ما هي الآثار التي ترتبت على ترك العمل بالوصية ؟

هناك الكثير من هذه الآثار ولكننا سنكتفى بالقليل منها وبدون

تفصيل:

إن الوصية كانت تضمن للأمة قيادة ربانية عادلة ومعصومة تهدي بأمر الله تعالى وتنتشر الهدى والعدل والرحمة ويترك الوصية حرمت الأمة بل البشرية جمعاء من مثل هذه القيادة وتسلط على الناس الظلمة والطغاة والجبابرة.

– تحول الحكم في الإسلام إلى ملك وراثي عوض ما أنزل الله به من سلطان ولا أمر الله به في كتابه أو في سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وأصبح هرقلية وكسروية وتولى مقاليد الحكم الإسلامي من ليس له بأهل وأقاموا حكمهم على الظلم والفساد وسفك الدماء وهتك الأعراض وانتهاك المحرمات وبلغ الأمر إلى أن تولى حكم المسلمين من كان يتجاهر بالفسق وشرب الخمر وإضاعة الصلاة ومن انتهك حرمة المقدسات الإسلامية فاستباح مدينة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حيث اغتصبت النساء وقُتل الرجال لم يحدث هذا من قبل الكفار ولكن من قبل الذين تسموا بالإسلام وحكموا باسمه يقول ابن كثير في البداية والنهاية: وقد روى أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقروود وما من يوم إلا ويصبح فيه مخمورا وكان يشد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ويلبس القرد قلانس الذهب وكذلك الغلمان وكان يسابق بين الخيل وكان إذا مات القرد حزن عليه ^(١) ويقول أيضا: وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك وكان ذا جمال حسن العشرة وكان فيه أيضا إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات

١- (البداية والنهاية ج٨-٢٣٦)

وإماتتها فى غالب الأوقات^(١) يقول المسعودى وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فأقبل على ساقيه فقال:

اسقنى شربة تروى مشاشى ثم مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السرو الأمانة عندى ولتسديد مغنمى وجهادى

ثم أمر المغنين فغنوا. وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعل من الفسوق وفى أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاحى وأظهر الناس شرب الشراب^(٢)

ويقول ابن كثير: ثم أباح مسلم بن عقبة الذى يقول فيه السلف مسرف بن عقبة _ قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله _ (هذا من قول ابن كثير) المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد لا جزاءه الله خيرا (هذا أيضا من قول ابن كثير) وقتل خلقا من أشرفها وقرائها وأنتهب أموالا كثيرة منها ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد " ويقول أيضا " ووقعوا على النساء حتى قيل أنه حبلت ألف امرأة فى تلك الأيام من غير زوج قال المدائنى عن أبى قررة قال قال هشام بن حسان ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرة من غير زوج^(٣) فهل هذا هو الإسلام؟ وهل يليق بمثل هؤلاء الحكام أن يخلفوا الرسول صلوات الله عليه وآله وسلم فى حكم المسلمين؟ وهل هذه هى المدينة التى هى حرم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم الذى قال عنها " المدينة حرم من كذا الى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث من أحدث حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين "^(٤) وأيضا فى ظل مثل هؤلاء الحكام الذين تسموا بالخلفاء وأمراء المؤمنين قصفت الكعبة المشرفة بالمنجنيق فهل راعى هؤلاء الحكام حرمة للإسلام؟

— قتلوا أهل البيت عليهم السلام وسبوا نساءهم !!

١ _ (البداية والنهاية ج٨ _ ٢٢١)

٢ _ (مروج الذهب ج٣ _ ٧٢)

٣ _ (راجع البداية والنهاية ج٨ _ ٢٢٠ _ ٢٢١)

٤ _ (البخارى ج٣ _ ٢٥)

إنهم لم يقتلوا أهل بيت كسرى وقيصر وإنما قتلوا أهل بيت رسول الله ﷺ الذى أنقذهم الله به من الشرك والضلال والذل والهوان الذى كانوا يحيونه قبل الإسلام . إنهم سبوا نساء أهل البيت ﷺ بنات رسول الله ﷺ الطاهرات العفيفات الشريفات حيث أخذوهن مهتكات حاسرات الرءوس يطاف بهن فى البلاد بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام خرجت ابنة عقيل بن أبى طالب ومعها نساؤها حاسرة تلوى ثوبها وهى تقول ماذا تقولون إن قال النبى لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم إن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى (١) . إن أولئك الحكام ما تربعوا على عروشهم إلا باسم الإسلام الذى أنزل على رسول الله ﷺ والذى جاهد من أجله فهل كان هذا هو رد الجميل لرسول الله ﷺ؟

فأى جريمة إقترفها أولئك الحكام؟ وهل راعوا حرمة للرسول ﷺ؟ وإذا اجترعوا على حرمة الرسول ﷺ فهل سيراعون حرمة لأحد غيره؟ وهذا ما ظهر من خلال سيرتهم وتاريخهم

– غير الحكام فى تعاليم الدين وبدلوا وانغمسوا فى الشهوات والملذات وشجعوا وضع الأحاديث المكذوبة فى فضائلهم وفى الطعن فى أهل البيت والخط من قدرهم ورفع خصومهم ومارسوا القتل والتشريد ضد أتباع أهل البيت ﷺ ومنعوا عنهم العطاء وهدموا دورهم وأسقطوا عدالتهم وردوا شهادتهم وما أكثر الأحاديث التى قالوا عنها ضعيفة أو موضوعة فقط لأن الراوى من أتباع أهل البيت ومحبيهم وإن كان صدوقا ورعا تقيا

– تفرقت الأمة وتشتت وفتح الباب أمام سفك الدماء وأمام اصحاب الانقلابات العسكرية وظهرت نظرية تقول نحن مع من غلب وكأنها شريعة الغاب وقُتل فى النزاعات الداخلية بين المسلمين أضعاف أضعاف من قتل فى حرب المسلمين مع غيرهم

١ – (الكامل ج٣ - ٣٠٠)

– قل الالتزام بالدين وظهرت البدع والخرافات وتأثرت الأمة بغيرها من الأمم التي دخلت في الإسلام وبدأت تفقد هويتها رويدا رويدا حتى وصل الأمر إلى الحالة التي نعيش فيها الآن دويلات هزيلة وضعيفة ومتفرقة يتسلط عليها الجبابرة والطغاة والظالمون الذين ينهبون موارد البلاد ويسخرونها لملذاتهم وشهواتهم وأهدافهم الشخصية وأصبح من هؤلاء الحكام من لا يعنيه إلا الكرسي الذي يجلس عليه وإن أهلك في سبيل الحفاظ عليه شعبه وأمته وأصبح الكثير منهم أداة في أيدي أعداء الإسلام وعملاء لهم ينفذون مخططاتهم ويحاربون الإسلام وأهله.

ثالثا: التساؤل الثالث: ما فائدة الكلام عن الوصية الآن بعد مرور عشرات القرون عليها؟ أليس هذا رجوعا إلى الوراء وإهمالا لواقع الأمة ومستقبلها؟ أليس هذا تفريقا للأمة وإضعافا لها خاصة في مثل هذه المرحلة الصعبة التي تمر بها الأمة والتي تشتد فيها مؤامرات الأعداء من أجل الإجهاز على الأمة؟

قبل أن نتحدث عن فائدة هذا الكلام علينا أن ننظر إلى واقع الأمة ونسال أنفسنا هل تعيش الأمة الآن عزيزة كريمة موحدة قوية يرهبها الأعداء والكلام عن الوصية سيضعفها ويفرقها ويشتت شملها؟ أم أنها تعيش أسوء الفترات في مذلة ومهانة وضعف وتفرق وتشتت وتشردم؟ إن الأمة مصابة بداء خطير ليس وليد اللحظة ونحن بحاجة إلى معرفة سبب هذا الداء بحاجة إلى دراسة التاريخ لتتعرف على الأسباب التي أوصلتنا إلى هذه الحالة التي نعيشها إننا بحاجة إلى الرجوع إلى التاريخ لنستلهم منه العبر ولنتعرف على مواطن الخطأ والصواب. فالوصية ليست قضية تاريخية وانتهت بل إن لها آثارا خطيرة في حياة المسلمين وفي مسيرة الإسلام سواء في الماضي أم في الحاضر والمستقبل إن الولايات والمصائب التي جرت على الأمة إنما كانت بسبب إعراضها عن وصية رسول الله ﷺ التي تضمن لها الأمن من الضلال. إن الطرق قد تعددت وكثرت المناهج والرايات فأى طريق نسلك؟ وتحت أى راية نستظل؟ وأى منهج نتبع؟ ألا يكفينا التجارب البشرية الفاشلة التي

أوصلتنا إلى هذه المرحلة؟ أما آن لنا أن نسلك الطريق الذي رسمه لنا الرسول صل الله عليه وآله وسلم طريق أهل البيت عليهم السلام ففى ظله فقط سوف تتوحد الأمة فالرسول صل الله عليه وآله وسلم يقول " النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس " ^(١) ففى العودة إلى أهل البيت عليهم السلام أمان من الاختلاف إن راية أهل البيت عليهم هى الـراية التى تضمن للأمة وحدتها وأيضا

فتحت قيادة أهل البيت عليهم السلام سينتصر الإسلام ويقيم دولته العالمية العادلة والنـتى بشر بها الرسول صل الله عليه وآله وسلم حين قال " المهدي من عترتى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا " فهل نسلك طريق أهل البيت عليهم السلام لنمهد لقيام تلك الدولة الموعودة ونقرب أيامها ؟

ويبقى سؤال أخير كيف نتمسك بأهل البيت عليهم السلام ؟

إنك إذا تحدثت مع أحد من المسلمين فسيقول لك _ وهو صادق فى قوله _ إننى أحب أهل البيت حبا كثيرا فهل هذا الحب يكفى لنكون متمسكين بأهل البيت عليهم السلام عاملين بوصية رسول الله صل الله عليه وآله وسلم ؟ إن الحب شىء هام وضرورى ولكن ليس كافيا وحده فالتمسك بأهل البيت عليهم السلام يعنى الاعتراف بمنزلتهم ومكانتهم والإقرار بإمامتهم وأن نتخذهم أئمة نسير على نهجهم ونقتدى بهم ونتعلم منهم ونأخذ أحكام ديننا منهم لا من غيرهم وأن نوالىهم ونوالى أولياءهم ونعدائهم وأن نكون كما كان رسول الله صل الله عليه وآله وسلم سلما لمن سالمهم وحرىا لمن حاربهم وأن نفرح لفرحهم ونحزن لحزنهم وأن نقدمهم على من سواهم ولانقدم عليهم أحدا مهما كان حيث أن الجميع بلا إستثناء مطالب بالتمسك بهم تنفيذاً لوصية الرسول صل الله عليه وآله وسلم وعلينا أن نحى أمرهم الذى حاول الآخرون إماتته وأن نتنظر دولتهم دولة العدل الإلهى بقيادة الإمام المهدي عليه السلام وعجل الله فرجه الشريف والذى سيملاً الأرض قسطا وعدلا وأن نسعى جادين للتمهيد لتلك الدولة المباركة حتى نقرب من أيامها.

١ _ (أخرجه ابن أبى شيبه ومسدد فى مسنديهما والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وأبو يعلى والطبرانى.